

التأثير الصيني المتصاعد في إقليم كردستان العراق

سرجان جاليشكان

»

إن إقليم كردستان العراق، بصفته منطقة حيوية في التنافس العالمي بين الولايات المتحدة والصين على المدى القصير والمتوسط، سيحاول أن يبقى حذراً بين الجانبين والاستفادة من الاستثمارات الصينية قدر المستطاع. وسيكون هذا عاملاً من شأنه تسهيل تعزيز الصين لوجودها في إقليم كردستان وتمكينها عن إيجاد مساحة أكبر للتحرك والعمل.

“

بدأت الصين في تعزيز وجودها في العراق من خلال استثمارات كبيرة في قطاع الطاقة لاسيما منذ عام 2007 بعد الغزو والاحتلال الأمريكي للعراق، ثم سعت الصين إلى إعادة وجودها في العراق إلى موقع أكثر فاعلية بعد الإعلان عن مشروع مبادرة الحزام والطريق في عام 2013. حيث أصبحت الصين حالياً إحدى الجهات الفاعلة الرئيسة للاقتصاد العراقي، وأصبح العراق ثالث أكبر مورد نفط للصين في عام 2020 بعد



من احتياجات الكهرباء الحالية للعراق، وتلبي 70% من احتياجات الكهرباء للعاصمة بغداد. اكتسب النشاط الصيني في العراق زخماً في إقليم كردستان العراق مع افتتاح قنصليتها العامة في أربيل في عام 2014. وقد سعت الصين لتعزيز هذه الخطوات لاسيما من خلال الاستثمارات التجارية والتعاون الثقافي. وبذلك عززت وجودها بطريقة هادئة وفعالة في منطقة جغرافية أصبحت ساحة للتنافس بين دول مختلفة.

العلاقات الصينية العراقية بعد 2003

قامت الصين بعد الغزو الأمريكي للعراق باستثمارات كبيرة في هذا البلد ضمن نطاق الحكومة المركزية، إلا أن العلاقات الصينية مع حكومة إقليم كردستان العراق لم تكن بنفس الرخص الذي جرى مع بغداد. وتعتبر زيارة زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني آنذاك جلال طالباني إلى بكين في عام 2003 أول اتصال جاد بين السياسيين الأكراد في العراق والصين. إلا أن زيارة طالباني لبكين كعضو في الإدارة المؤقتة التي تشكلت في العراق في ذلك الوقت، أظهرت أن هذه الزيارة لم تكن موجهة إلى المنطقة الكردية، بل هي زيارة تضمنت الخطوات التي ستتخذها الصين مع حكومة بغداد المركزية. في الواقع تم تأسيس العلاقات بين الصين وحكومة إقليم كردستان العراق بشكل حقيقي بعد افتتاح قنصلية عامة للصين في أربيل في عام 2014، وأكّد رئيس وزراء حكومة إقليم كردستان العراق في ذلك الوقت

مجموعة شنجهاي الصينية للكهرباء هي من يشغل حالياً محطة واسط الحرارية لتوليد الكهرباء التي تأسست عام 2010 الواقعة في محافظة واسط العراقية، والتي يبلغ إنتاجها اليومي من الكهرباء 56 مليون ميغاواط/ساعة، وتلبي 20% من احتياجات الصين للكهرباء مما يعد مؤشراً مهماً للدور المهم للطاقة في العلاقات بين الصين والعراق، الذي لا يقتصر فقط على إمدادات النفط الخام، بل تمتلك الشركات الصينية أيضاً حصة كبيرة في توليد الكهرباء في العراق، فشركة





التي يجب التأكيد عليها، هي أن الصين لا تشجع أي حركات انفصالية في سياستها الخارجية. وبلا شك يرتبط هذا المنظور للصين ارتباطاً وثيقاً بسياساتها تجاه تايوان ومنطقة شينجيانغ والأويغورية التي تتمتع بالحكم الذاتي (تركستان الشرقية). وفي هذا الإطار، عندما أعلنت حكومة

لكن وب رغم أن هذه الأرضية تحمل بعض الرسائل والمزايا من حيث الوقت، إلا أنها تحتوي أيضاً على نقاط ضعف مهمة في العديد من الأمور. وقبل مناقشة الوجود الصيني في إقليم كردستان العراق، سيكون من الأفضل التأكيد على نقاط الضعف هذه. نقطة الضعف الأولى

نيجيرفان بارزاني خلال مشاركته في حفل افتتاح القنصلية، أن افتتاح الصين قنصلية في أربيل يعتبر بداية للعلاقات الثقافية والاقتصادية والسياسية التي ستقيمها الصين مع أربيل والسليمانية. هذه الخطوة الدبلوماسية التي اتخذتها الصين تجاه حكومة إقليم كردستان العراق مهمة للغاية خاصة أنها جاءت بعد عام واحد من الإعلان عن مشروع مبادرة الحزام والطريق الصينية. وفي الوقت الذي تحقق فيه الصين عوائد مالية كبيرة من خلال إكساب استثماراتها زخماً كبيراً عبر العلاقات الدبلوماسية التي أقامتها في الشرق الأوسط جنباً إلى جنب مع مشروع الحزام والطريق، فإنها لا ترغب في خسارة مكاسب العلاقات التي ستقام مع الإدارة الإقليمية في شمال العراق. من ناحية أخرى، يحمل عام 2014 الذي أفتتحت الصين فيه فنصليتها في أربيل معناً مهماً للغاية، لأنه يعتبر إحدى الفترات التي ازدادت فيه تهديدات تنظيم داعش الإرهابي ضد إقليم كردستان العراق، وبذلك بعثت الصين رسالة "الصديق وقت الضيق" إلى حكومة إقليم كردستان، على الرغم من الدمار الهائل الذي تسبب فيه تنظيم داعش وقيام العديد من الدول بسحب بعثاتها الدبلوماسية من أربيل، وبهذه الطريقة، كانت الصين تهدف إلى بناء أساس العلاقات الثنائية مع إقليم كردستان العراق على أرضية صلبة، لاسيما في الفترة الجديدة التي ستزداد فيها التحركات الاقتصادية والثقافية للقوى العالمية في منطقة الشرق الأوسط.

نفوذ الصين في إقليم كردستان. في واقع الأمر، يحمل العراق أهمية كبيرة للغاية فيما يتعلق بمشروع مبادرة طريق الحزام الصينية، ويرجع ذلك بدرجة كبيرة إلى احتياطاته من مصادر الطاقة التي يملكها، وموقعه الاستراتيجي على الخليج العربي ومضيق هرمز اللذين يعتبران ممراً هاماً للطاقة. من ناحية أخرى، فإن للعراق أهمية جيوستراتيجية لخط المواصلات الصيني الذي سيصل إلى أوروبا عبر إيران والعراق وتركيا، والذي تم الإعلان عنه باسم "الحزام الاقتصادي لطريق الحرير"، والذي سيشكل الطريق البري لمشروع طريق الحزام الصيني. يشترك العراق أيضاً في هذه الأهمية مع إقليم كردستان الذي يعتبر جزءاً من العراق في شمال البلاد. لذلك، فإن الصين التي تتبع سياسات أحادية الجانب تجاه الحكومة المركزية في بغداد، تهدف أيضاً إلى تعزيز علاقاتها مع إقليم كردستان الذي يمتلك احتياطات مهمة من النفط. وفي هذا الإطار، قامت الصين بالحصول على التصاريح اللازمة في عام 2019 من أجل نقل قنصليتها في أربيل إلى مكان أوسع، ومن ناحية أخرى لديها مبادرات مع حكومة إقليم كردستان لإحراز تقدم خاصة فيما يتعلق بالتعليم والتعاون الثقافي. وفي نطاق الخطوات المتخذة في هذا السياق، تم افتتاح قسم لتعليم اللغة الصينية داخل جامعة صلاح الدين في أربيل في عام 2019 ، وفي مقابل هذه الخطوة تم الإعلان عن وجود خطة لافتتاح قسم لتعليم اللغة الكردية في جامعة بكين.



العلاقات الثنائية الحالية بين الصين وإقليم كردستان العراق على خلفية تاريخية سلبية.

وعلى الرغم من كل هذه الذاكرة التاريخية غير الإيجابية، إلا أن مصالح الطرفين ساهمت في تطور العلاقات الثنائية بشكل كبير منذ عام 2014، وعلى وجه الخصوص تعزيز

إقليم كردستان أنها ستجرى استفتاء على الاستقلال في عام 2017، أكدت وزارة الخارجية الصينية أنهم لا يؤيدون هذا الاستفتاء وأنهم يؤيدون "وحدة العراق ووحدة أراضيه". هذا الموقف الحازم من الصين ضد مبادرة استقلال إقليم كردستان العراق أدى إلى بناء

الاستثمارات الصينية في قطاع النفط في كردستان العراق

يرتبط تعزيز العلاقات بين الصين وإقليم كردستان العراق ارتباطاً مباشراً بالصالح الاقتصادية، وعندما افتتحت الصين قنصليتها في أربيل في عام 2014، إزدادت وارداتها النفطية من حقول النفط الخاضعة لسيطرة حكومة إقليم كردستان، حيث يتم حالياً تصدير أكثر من مليوني برميل من النفط شهرياً إلى الصين من إقليم كردستان عبر ميناء جيهان. وعلى الرغم من أن هذا الرقم ضئيل بالنسبة للصين التي تعتبر أكبر مستوردة للنفط في العالم وتستورد أكثر من خمسة مليون طن من النفط الخام سنوياً، إلا أن هذا الاستيراد يعد مكملاً اقتصادياً كبيراً لحكومة إقليم كردستان التي تعتمد إلى حد كبير على عائدات النفط المصدر من الحقول النفطية الواقعة في الإقليم.

خلال فترة الجائحة. ومع الفرصة التي أتاحتها وباء كورونا، قامت الصين بتقديم المساعدة للعراق منذ اليوم الأول للجائحة، من أجل تعزيز علاقاتها مع العراق. حيث أرسلت الصين في البداية فرقاً طبية إلى العراق، ثم أرسلت في الفترة اللاحقة معدات طبية كتب عليها "الصداقة تظهر في الأوقات الصعبة"، كما قدمت الدعم لإنشاء مختبرات في بغداد للإسراع في عملية الكشف عن الحالات المصابة. ولم تقتصر كل هذه المساعدات التي قدمتها الصين للعراق على الحكومة المركزية في بغداد، بل قدمت الصين المساعدات إلى حكومة إقليم كردستان منذ اللحظة الأولى. حتى أن القنصل الصيني العام خلال مشاركته مع وزير الصحة في حكومة الإقليم في حفل استقبال المساعدات التي وصلت إلى مطار أربيل قال إن "الصين صديقة حكومة إقليم كردستان في الأوقات الصعبة".

التناقض الصيني الأمريكي في كردستان العراق

إن تأكيد الصين على تكرار استخدام عبارة "الصديق وقت الضيق" في تعاملاتها مع إقليم كردستان العراق هي رسالة هامة من ناحية رسم الصين لسياساتها الخارجية تجاه المنطقة. لأن الصين تحاول تعزيز وجودها كمنافس رئيس للولايات المتحدة في إقليم كردستان، ضمن إطار التناقض الدولي في المنطقة، حيث أن إقليم كردستان العراق يحظى بأهمية كبيرة في التوجهات الأمريكية في الشرق الأوسط،

في الوقت الذي تحتاج فيه حكومة إقليم كردستان العراق إلى مزيد من الاستثمارات من أجل زيادة وتنويع مصادر دخلها، فإن رغبة الشركات الصينية في الاستثمار في المنطقة يوفر للصين الفرصة لفتح العديد من البوابات في المنطقة في المستقبل. الأمر الذي يجب التأكيد عليها في هذا الصدد هو جهود الحكومة الصينية المبذولة للاستفادة من هذه الفرص ليس فقط من خلال الاستثمارات، ولكن أيضاً من خلال عناصر القوة الناعمة.

إن تسبب جائحة كورونا في انهيار البنية التحتية الصحية لدول الشرق الأوسط وانعكاسات سلبية للغاية على اقتصادات هذه الدول، خلق في الوقت نفسه مساحة مهمة للصين لتصبح "المقد" لدول الشرق الأوسط

تعتبر الاستثمارات التي تقوم بها الصين من أجل تعزيز وجودها في إقليم كردستان لاسيما في أربيل، إحدى динاميات الرئيسية للعلاقات بين الصين وإقليم كردستان. وفي هذا الإطار، أكد القنصل العام الصيني في أربيل خلال لقائه مع رئيس وزراء حكومة إقليم كردستان مسروور بازاني، أن الصين لها رغبة كبيرة في الاستثمار في إقليم كردستان. ومن التطورات المهمة في هذا السياق، إعلان شركة صينية قيامها في سبتمبر/أيلول 2020 بتقديم عرض إلى مديرية استثمار أربيل من أجل بناء "مدينة سياحية" برأسمال 5

وسيكون هذا عاملاً من شأنه تسهيل تعزيز الصين لوجودها في إقليم كردستان وتمكنها من إيجاد مساحة أكبر للتحرك والعمل. ولكن النفوذ الذي تمتلكه الإدارة الأمريكية على السياسة والاقتصاد والأمن في إقليم كردستان سيدفع حكومة الإقليم لوضع حدود لعلاقاتها طويلة الأمد مع الصين. وسيدفع هذا الموقف الصين إلى التساؤل عن الفترة التي يمكن خلالها الحفاظ على وجودها في إقليم كردستان باستخدام عامل "المال" فقط، بعيداً عن الوجود السياسي والعسكري، وفي نفس الوقت سوف يجبر حكومة إقليم كردستان على الاختيار بين لاعبين عاليين. وإذا قرأنا هذه المسألة انطلاقاً من التفاعلات العالمية الحالية، فيمكن القول إن تأثير الولايات المتحدة الحالي سيكون كافياً لإبقاء حكومة إقليم كردستان في صفها. لذلك، يبدو من الصعب جداً بالنسبة للصين أن تفرض نفسها كقوة مهيمنة في المنطقة بدل أن تكون قوة بديلة على المدى الطويل من خلال الاستثمارات والتعاون الثقافي وحده، ضد وجود الولايات المتحدة التي تمتلك نفوذاً على جميع المفاصل السياسية والأمنية في إقليم كردستان العراق. ■

المنطقة. والأهم من كل شيء، اتخذت الصين موقفاً واضحاً للغاية ضد إمكانية استقلال إقليم كردستان، وأظهرت أنها لن تدعم خطوة استقلال إقليم كردستان ضد وحدة أراضي العراق. هذا الموقف السلبي من الناحية السياسية التي اتخذته الصين، يكفي لأن يكون عامل قوة مهم جداً للولايات المتحدة لاحفاظ على تأثيرها ونفوذها في إقليم كردستان ضد مطامع الصين.

من ناحية أخرى، هناك سؤال بالغ الأهمية يتبارى إلى الأذهان، وهو هل سيسفر وجود بايدن في البيت الأبيض إلى تحولات في سياسات الإدارة الأمريكية تجاه العراق. جدير بالذكر أن بايدن خلال فترة توليه منصب نائب الرئيس كانت تربطه علاقات وثيقة مع الساسة الكرد، وخاصة مسعود بارزاني، وقد تأيي هذه العلاقة بخطوات جديدة من شأنها أن تحد من مجال النفوذ الذي تريد الصين فرضه في شمال العراق. إن التزامات بايدن وسياساته البناءة تجاه حكومة إقليم كردستان ضد الحكومة المركزية، قد لا تعزز فقط مكانة أربيل باعتبارها "قاعدة" الولايات المتحدة في العراق، لكنها أيضاً ربما تحد من العلاقات المحتملة التي من المتوقع أن تتطور بين أربيل والصين.

كخاتمة، يمكن القول إن إقليم كردستان العراق، بصفته منطقة حيوية في التنافس العالمي بين الولايات المتحدة والصين على المدى القصير والمتوسط، سيحاول أن يبقى حذراً بين الجانبيين والاستفادة من الاستثمارات الصينية قدر المستطاع.

السياسية والاقتصادية والأمنية. كما أن الوجود الصيني المتزايد أمام قوة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط بشكل عام، وبشكل أكثر تحديداً في العراق وإقليم كردستان، سيؤدي بدون شك إلى صراع مصالح أكثر خطورة في المستقبل. ولكن، لوأخذنا بنظر الاعتبار أن الإدارة الأمريكية ما زالت تحفظ بنفوذ كبير جداً في المنطقة، لا سيما في إقليم كردستان، فهناك علامات استفهام جادة حول مدى فعالية تواجد الصين في هذه المنطقة من خلال الاستثمار وعناصر القوة الناعمة فقط. وعلى الرغم من التأكيد على الصداقة وقت الضيق، إلا أنه من غير الواضح إلى متى يمكن للصين أن تحافظ بدون قوتها العسكرية على صداقتها مع حكومة إقليم كردستان في جغرافيا مثل العراق التي لا تزال المنظمات الإرهابية تشكل تهديداً خطيراً فيها. جدير بالذكر أن الپنتاغون قدم مساعدات بقيمة 250 مليون دولار لقوات البيشمركة الكردية في عام 2020، وأقر في عام 2021 تقديم مساعدات عسكرية بقيمة 166 مليون دولار. وسلمت الإدارة الأمريكية العام الماضي آلاف الآليات العسكرية والذخائر إلى البيشمركة. هذه المساعدات وحدها كافية لجعل حكومة إقليم كردستان مدينة بأمن منطقتها للولايات المتحدة، وبالإضافة إلى ذلك، فإن تعزيز الولايات المتحدة لقواعدها العسكرية في إقليم كردستان بعد حادثة اغتيال قاسم سليماني وتناول مسألة نقل سفارتها من بغداد إلى أربيل، سيعزز الوجود الأمريكي في كردستان والذي يعتبر "الضمان" لوجود حكومة إقليم كردستان في

سرجان جاليشكان: باحث من تركيا حاصل على الماجستير في مجال الأمن الدولي ومكافحة الإرهاب من معهد آبل أرسلان للعلوم الأمنية بجامعة الدفاع الوطني التركية. يدرس الدكتوراه حالياً في مجال الأمن الدولي بacademy الشرطة التركية، مدير دراسات العراق في مركز أورسام.